مُحَاضَرَاتٌ

في أُصُولِ النَّحْو

السّنة الثّانية دراسات لغويّة

الدّكتورّ: فاتح مرزوق بن علي

أستاذ اللّغويّات

المُحَاضَرَةُ الْثّانية:

أصول النّحو: النّشأة والمرجعيّات

مُقَدَّمَةٌ: نزل القرآن الكريم بلغة العرب، وبينته السّنة النّبوية بلغة العرب أيضا، وكان الصحابة – رضي الله عنهم – على تمام العلم بتلك اللغة، يعرفون معاني ألفاظها وما تقتضي أساليبها، فلم يكونوا بحاجة إلى استحداث قواعد الإعراب والاشتقاق وما شابه ذلك من العلوم المستحدثة بعد ذلك، كانوا إذا نزلت بهم حادثة وأرادوا معرفة حكمها فزعوا إلى الكتاب (القرآن) أوّلًا ثم إلى السنَّة ثانيا، فإن لم يجدوا حكمًا اجتهدوا وألحقوا الأشباه بالأشباه والنظائر بالنظائر والأمثال بالأمثال مراعين المصالح العامة، وجعلوا ما لم ينص عليه بمنزلة المنصوص عليه متى وُجدت في ذلك علَّة؛ أنَّهم اعتبروها مناط الحكم فنشأ أصل ثالث هو القياس ثم ثبت عندهم أن المجتهدين من الأمة معصومون من الخطإ إذا اتفقت كلمتهم عند حكم مستفاد من كتاب أو سنّة أو قياس فثبت لهم أصل رابع هو الإجماع، وهي ترجع عند التّحليل إلى أصلين هما الكتاب والسّنة، وقد اقتفى العلماء آثار الصحابة وبحثوا هذه المسائل إلى أن جاء الإمام الشافعي – رحمه الله – (ت 204هـ) الذي ألف كتابة (الرسالة) وهي أوّل البحوث في أصول الفقه.

وكذلك علم أصول النحو، فقد وضعه أبو الأسود الدؤلي (ت 69هـ). وبحث النّحاة المسائل النّحوية في الفروع التفصيلية زمنًا طويلًا؛ فالنحو بدأ فكرة ثمّ انتهى في القرن الثاني الهجري علمًا قائمًا بذاته، له مدرستان واحدة في البصرة، وأخرى في الكوفة، وقد تناول النّحاة بعض مسائل علم أصول النّحو ولكن كانت متفرقة متناثرة في ثنايا كتبهم.

1.روّاد التّأليف في علم أصول النّحو: عند تتبّعنا لنشأة العلوم؛ فإنّا نجد زمنا ليس ببعيد بين تاريخ نشأتها، وتاريخ تدوينها وظهورها؛ كعلوم مستقلّة لها كيانها الخاص. فعلم أصول الفقه نشأ مع الفقه نفسه؛ لأنّه لا يمكن تصوّر علم بلا أصول؛ لأنّ الأصول هي الأساس الّذي يُبنى عليه العلم، إلا أن تدوين علم أصول الفقه تأخر بزمن طويل؛ حيث تم ذلك على يد الإمام (الشافعي) في رسالته.

- **أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت392هـ)** في كتابه (الخصائص)؛
- **أبا بكر بن السراج ت (316هـ)** وضع لكتابه في النّحو عنوان (أصول النّحو) ولم يقصد بذلك علم أصول النّحو، بل شمل كتابه أساسيات النّحو، لا يمكن لدارس الاستغناء عنها فهو كتاب في النّحو شأنه شأن كتاب (سيبويه) وقد نبّه إلى هذا (ابن جني) فذكر في الخصائص أنّه قد سبقه إلى هذه التّسمية (ابن السراج)؛ ثم علَّق على ذلك بقوله : " فأما كتاب أصول أبي بكر، فلم يلمم بما نحن عليه إلاّ حرفا أو حرفين في أوّله ".
- **أبو البركات بن محمد الأنباري (ت577 هـ)** فيؤلف أوّل كتاب يحمل الاسم والمضمون معا ، وهو كتاب (لمع الأدلّة في علم أصول النّحو) وقد أخذ في هذا الكتاب أبواب أصول الفقه برمّتها وحشاها بموضوعات في أصول النّحو.
- **جلال الدّين السّيوطيّ (ت 911هـ)** فيؤلف كتابا في أصول النّحو سمّاه (الاقتراح في علم أصول النّحو) وقد اعتمد فيه اعتمادا شِبه كليّ على كتابي (الخصائص) و(لمع الأدلة رغم أنّه ادعى في مقدّمة كتابه الأسبقية إلى ذلك.